

خطبة

(من مظاهر العظمة في الشريعة الإسلامية، السماحة

والتيسير)

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٍ غَانِمٍ

(رحمه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ  
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ  
فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

• أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا  
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾  
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧١]

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صلى  
الله عليه وعلى آله وسلم-، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ،  
وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فإن النظرة الأولى إلى الأشياء نظرة عجلى لا تبني قرارا، ولا تحقق رأيا، ولا تؤصل فكرا؛ لأن النظرة الأولى إلى الأشياء نظرة غير فاحصو ولا متفحصه ولا نظرة أنه ولا متأنه.

والإنسان إذا صار في حياته ينظر إلى الأشياء بنظرة عجلى فإن ذلك يضع عليه دينه وأخراه لأنه ينظر إلى شكل الأشياء وظاهرها، ولا ينظر إلى حقيقتها وباطنها.

والذي هو أعلم بالحقائق، والذي هو أعلم بالبواطن هو الله رب العالمين ﴿لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾

لذا ينبغي على المرء أن ينظر إلى الأشياء بنظر الله إليه، وأن ينظر إلى الأشياء بنظر نبيه ﷺ إليه، لأن ما رآه الله، ورأه نبيه ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه.

ولو أن الإنسان أراد أن ينظر إلى شيء بعيدا عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإنه يخرج عن حادة الطريق ويتعد عن الوصول إلى الرفيع.

وهؤلاء أصحاب نبينا ﷺ وهم أعقل الناس، وهم أعلم الناس ولكن....

انظر إليهم حين نظروا إلى الأمر نظرة عاجلة، وانظر إلى بيان النبي ﷺ لما بين لهم الأمر.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم

الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي  
أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي  
فَلَيْسَ مِنِّي).

فانظر في هذه الرواية كيف نظر الصحابة رضوان الله عليهم إلى الدين  
في ظاهره ولم ينظروا إليه في حقيقته.....

فبين لهم النبي ﷺ حقيقة دين الإسلام فليس الإسلام رهبانية  
كرهبانية النصارى، ولا هو عكوفاً في المساجد كما هو الشأن مع  
اليهود في صوامعهم وبيعهم، وإنما الإسلام أعظم من ذلك فهو أحب  
الأديان إلى الله رب العالمين، وهو أكرم الأديان إلى الله رب العالمين.

الإسلام ليس بصيام النهار، ولا بقيام الليل، ولا بالبعد عن  
الشهوات؛ وإنما الإسلام منهج حياة يأخذ المسلم....

منهاج عن طريق نبيه ﷺ في عقيدته وفي عباداته وفي معاملاته وفي أخلاقه وسلوكه، لم يكن قائماً على هدي النبي سائراً على طريقه فهو راغب عن سنته وشريعته.

والآفة التي وقع فيها من وقع ومر فيها من مر هي: أن الناس ينظرون إلى الإسلام خلال المسلمين، والإسلام حاكماً على المسلمين والمسلمون ليسوا بحكام على الإسلام.

من أراد أن يأخذ دينه فلا يأخذ الدين عن فلان عن فلان، ولا يأخذ الدين عن الشيخ الفلاني ولا الشيخ الفلاني ولكن.....

من أراد أن يأخذ الدين غصّاً طرياً صحيحاً نقياً، فيأخذه عن سيد البرية عن خير من أرسله الله رب العالمين إلى العالمين (خذوا عني مناسككم، خذوا عني مناسككم) هكذا قال النبي ﷺ فانظر عبد الله إلى قول النبي ﷺ (فمن رغب عن سنتي فليس مني).

إن الراغب عن سنة النبي ﷺ، إن المبتعد عن هديه في حياته إنما  
يبتعد عن نجاته!! إنما يبتعد عن فلاحه!! إنما يبتعد عن توفيقه ونجاحه،  
وقد بين لنا نبينا ﷺ أن من عمل عملاً على غير أمر النبي ﷺ فهو  
مردود عليه، فمن اعتقد عقيدة ليست على عقيدة النبي ﷺ فهي  
مردودة عليه، ومن غير عبادة ليست على هدي النبي ﷺ فهي  
مردودة عليه، ومن عامل الناس معاملة ليست على هديه ومنهاجه  
فهو مردوده عليه، ومن تخلق بخلق ليس من أخلاق النبي ﷺ ولم يكن  
عليه فهو مردود عليه.

هذا هو الذي وقع فيه كثيراً من الناس أنهم أخذوا بعض الدين عن  
النذير البشير وضيعوا باقي الأديان، فالمسلمون يصلون ويصومون  
ويزكون ويحجون ويظنون أن ذلك هو الدين؛ وهذا بعض الدين  
وإنما....

الدين منهج حياة، والله رب العالمين لا يكلفك في هذا الدين ما لم  
تستطيع.

الله رب العالمين يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، الله يريد أن يخفف عليهم وخلق الإنسان ضعيفا.

ما جعل الله علينا في دينه من حرج ولكن نحن الذين نخرج أنفسنا بابتعادنا عن سنة نبينا ﷺ، وابتعادنا عن شريعته ربنا.

فيا عبد الله دين الإسلام من أوله إلى آخره لا يكلفك إلا ما تستطيع، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦].  
تدخل هذا الدين بلا تأشير، ولا جواز سفر، ولا شهادة يمكثوا فيها عشرين عاما وإنما.....

تدخل هذا الدين بكلمتين (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) فتصبح بذلك من أهله ويغفر الله لك ما كان في زمانك كله.

وقد جاء عمرو بن العاص إلى النبي ﷺ يبایعه على الإسلام فمد يده ثم قبضها مرة أخرى فقال له النبي ﷺ: ما لك يا عمرو؟ فقال: لي

ذنوباً وأعمال عظام، فقال له النبي ﷺ: يا عمرو أما تعلم أن الإسلام  
يُحِبُّ ما قبله، وأن التوبة تُحِبُّ ما قبلها، وأن بين الحج والحج والعمرة  
والعمرة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر.

أرأيت ديناً كهذا الدين!! أرأيت سهولة في دخول امرأ في دين الله  
رب العالمين كسهولة ويسر في الدخول في الإسلام العظيم.

وتأتي سماحة الشريعة ويأتي يسر الشريعة في تطبيق هذا الدين، فإذا  
ما دخلت الإسلام أَمَرَكَ اللهُ رب العالمين بالصلاة، وانظر إلى سماحة  
دين الإسلام العظيم!! وانظر إلى يسره!! فرض الله عليك أن تتطهر  
من جنابتك ومن حدثك بالماء، فإذا فقدت الماء جاء التراب بضربتين  
بضربة على الأرض تمسح بها يدك، وبضربة تمسح بها وجهك أو  
بضربة واحدة تمسح بها يدك ووجهك، تخرج من جنابتك من حدثك  
وتصبح طاهراً.

انظر إلى سماحة دين الإسلام العظيم يأمرك بالصلاة على قدر ما  
تستطيع!! فيأتي عمران ابن حصين رضى الله عنه يقول للنبي ﷺ: يا رسول الله

إني بي بواسير أي- بي مرض يحجزني عن الصلاة- فقال له النبي  
ﷺ: صلى قائما وإن لم تستطع صلى قاعدا فإن لم تستطع صلى على  
جنب.

يقول علماؤنا عليهم الرحمة: إذا فقد الرجل الماء والتراب فإنه يصلي  
بنيته وهي: صلاة فاقد الطهورين، بنية الطهارة تصير طاهرا، بنية  
الوضوء عند فقد الماء والتراب تصير متوضئا، ثم يصلي على الهيئة التي  
تقدر عليها؛ من قيام أو قعود أو رقود وهي أعظم شريعة في دين  
الإسلام العظيم.

فانظر إلى تيسير الله عز وجل، وإذا كنت على سفر فقد خفف الله  
عنك تلك الشعيرة، بأن تصلي الصلاة الرباعية ركعتين لا تزيد، لا  
تصلي قبله ولا بعده، ولك أن تجمع بين الظهر والعصر، وأن تجمع  
بين المغرب والعشاء.

أرأيت يسرا كيسر الإسلام العظيم، أرأيت الشريعة تسهل على  
اتباعها أن قيموها بلا جهد ولا تعب ولا مشقة ولا عنت!!!

أين تجد ذلك في غير دين الإسلام العظيم؟؟

لقد كان الرجل في أمة اليهود كان إذا أصابت ثوبه نجاسه أمر بقطع ذلك الجزء الذي تجنس، وكان الواحد منه إذا وقع في معصيه أصبح مكتوب على باب بيته لقد فعل فلان ابن فلان البارحة كذا، ولما وقعوا في عبادة العجل أمرهم الله أن يقتلوا أنفسهم من أجل أن يتوب عليه، هل تجد ذلك في هذا الدين؟؟

دين يقول لك تب إلى الله فيما بينك وبين نفسك!!

ارجع عما اقترفت يداك، استغفر الله رب العالمين يغفر الله لك ما مضى.

فهذا هو الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفس ثم أكمل المائة بأعبد أهل الأرض في زمانه، ولكنه أراد أن يتوب؛ فلما أقبل على الله أقبل الله عليه، ولما تاب إلى الله تاب الله عليه....

وانظر إلى يسر الشريعة أن المرء إذا أخرج من أرضه عاملاً ضارباً في الأرض خفف عنه صلاته، وخفف عنه صيامه، فإنه يرخص له الفطر حتى يرجع إلى بلده بغض النظر عن المشقة التي يجدها حال السفر، أو لا يجدها، فكون المرء مسافراً يجعل له رخصة في شريعة الإسلام العظيم في الصلاة والصيام.

وانظر إلى يسر هذا الدين أن المرأة الحامل والمرأة المرضعة لا يقضيان الصيام وإنما تطعم عن كل يوم مسكين.

فانظر إلى شريعة تخفف فريضة فرضها الله رب العالمين لغرض عارض من العوارض، ولضعف من أنواع الضعف.

الإنسان وعبادة الزكاة لا يكلفك الله رب العالمين أن تخرج من مالك إلا حال جودك وسعتك، وأما عند فقرك وضعفك فإنك تكون مستحقاً للزكاة تأخذها بطيب نفس لا حرج ولا كرب.

هذا دين الإسلام العظيم في أوامره....

ويأتي الحج مرة في العمر كله ومن لم يستطع فليس عليه شيء (حج البيت إن استطعت إليه سبيلاً).

ودين الإسلام العظيم لا يكلف شيئاً يزيد عن طاقتك، ويزيد عن قدرتك، وإنما يخفف عنك حاله ضعفك وعجزك، يخفف عنك حال ذنبك وجريمتك.

فهذا نبينا ﷺ يأتي إليه من اقترف جرمه الزنا ووقع فيه، فيأمره النبي ﷺ أن يستر على نفسه مرة ومرة ومرة ومرات، والرجل يريد أن يقام عليه الحد، فقال النبي ﷺ: اقيموا الحد على أخيكم.

فهذا دين الإسلام العظيم دين ستر وصيانة لا دين فضيحة ومهانة. دين يستر على صاحبه حال جرمه وجريمته، لا دين يفضح صاحبه ويشهر به بين الناس.

وتأتي المرأة الغامدية يردها النبي ﷺ مرات ومرات حتى تجود نفسها طواعية لله رب العالمين.

ولما فرغ النبي ﷺ من إقامه الحد على ماعز قال: من الذي دلنا عليه فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: هلا سترت عليه بثوبك.

فانظر إلى دين الإسلام العظيم ليس كما يظنه كثيرا من المسلمين ليس دين تشهير ولا فضيحة، ليس دين تعقيد ولا تصعيب، وإنما دين يسر كله، كله يسر لا يكلفك إلا ما تستطيع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]، ولكن....

النظرة الأولى نظرة عاجلة، أكثر الناس ينظرون إلى الإسلام في حدوده، ينظرون إلى الإسلام في أوامره، ولا ينظرون إلى الإسلام في رخصه وتيسيراته، فما أمرك الله بأمر إلا وجعل القدرة بجانبه فلا تكليف بغير مقدور.

وقد أتى الصحابه رضوان الله عليهم إلى النبي ﷺ يسألونه أشياء  
فقال لهم النبي ﷺ: ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم  
عنه فاجتنبوه.

لا يكلفك إلا بأن تترك ما نهيت عنه، والترك لا يكلفك شئ، وأما  
ما أمرك به فإنما يقبل منك ما تقدر عليه.

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه  
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، أما بعد.....

فدين الإسلام العظيم دين يقوم على أصول وقواعد هذه الأصول وهذه القواعد الذي أصلها وقعدها هو الله رب العالمين، والله عز وجل لا يحب العسر ولا يريد، إنما يحب اليسر ويريده ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥]، فمراد الله رب العالمين من خلقه اليسر لا مراده من خلقه العسر، بل إن دين الإسلام العظيم لا يفرض على الناس فرضاً ولا يأمر الناس به أمراً؛ إنما يعرض عليهم هذا الدين فمن شاء فليؤمن، ومن شاء ظل على كفره والعاقبة له في الدنيا والاخرة.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ<sup>ط</sup> قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة ١٥٦].

الذين يقولون أن الإسلام انتصر بالسيف هؤلاء أصحاب النظرة العاجلة لأن الإسلام انتصر على السيف ولم ينتصر بالسيف.

إن الإسلام وجه بسيف المشركين فما واجه الصحابة المشركين بسيوفه ولكن كانوا يصبرون ويغفرون ويحلمون.

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية ١٤].

فكان يأتي الرجل من أصحاب محمد ﷺ يقول: يا رسول الله فعل المشركون بنا كذا وكذا، فيقول لهم النبي ﷺ: صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة، ويأتي إليه خباب ابن الأرت رضي الله عنه وقد فعل به ما فعل فيقول له ﷺ: يا خباب كان يؤتى بالرجل فيفرق بالمنشار من رأسه إلى قدميه، ويمشط بأمشاط من حديد ما بين لحمه وعظمه ولا يصرفه ذلك عن دين الله شيء، ولكنكم قوم تستعجلون.

والنبي ﷺ لما ذهب إلى المشركين يوم بدر لم يذهب إلى قتال وإنما أراد أن يرد بعض ما أخذه المشركون، والذين بدأ القتال هم المشركون. وفي يوم أحد الذي أتى إلى المدينة المشركون.

وفي يوم الخندق الذي أتى إلى المدينة المشركون.

ولما أظهر الله دينه وكثر اتباعه وذهب النبي ﷺ إلى مكة ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل، ما فرض النبي ﷺ الإسلام على المشركين وإنما حينما أرادوا أن يواجهوه ردهم إلى ما هو خير، فقال لهم ﷺ: ما تظنون أني فاعل بكم، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولم يأمر النبي ﷺ المشركين إما الإسلام وإما القتل وإنما تركهم فمن دخل الإسلام دخله طواعية، إنما البلاد التي فتحت في عصور الصحابة هذه البلاد إنما كانت لمواجهة الفساد وللدعوة إلى الإسلام ولم تكن لفرض الإسلام على ساكني هذه البلاد.

ولقد ظل المسلمون يحكمون الأندلس ما يزيد عن خمسمائة عام ومع ذلك لم يخرج الأندلسيون على حكم الإسلام، لم يكن فيهم عددا يقيموا بهم دولة الإسلام، واسبانيا اليوم ليس فيها مسجدا للمسلمين بل كل مساجد المسلمين صارت إلى كنائس.

فأين فرض الإسلام على هؤلاء؟؟ بل إن الإسلام انتشر في أفريقيا وفي المغرب وفي الهند وفي السند لا عن طريق السيف وإنما عن طريق الدعوة إلى الله والأخلاق الفاضلة، والسلوك المستقيم.

فيا عباد الله دينكم يسر له عسر فيه....

دينكم دين رحمة لا دين مشقة ولا عذاب....

دينكم لا يكلفكم إلا ما تستطيعون...

فلما يتعد المرء عن دينه!!! ولما يسمع لهذه الوشايات المغرضة.

أن الدين ليس صعب ولا التكاليف عسيرة، والله لا يكلفك إلا ما

تستطيع؛ بل إن أهل الجنة، الذين يدخلون الجنة إنما يدخلون بما

يستطيعون من الأعمال.

فكم من إنسان يعمل عملاً قليلاً ويغفر له الله ما كان منه فيصير عن

عند الله كثيراً .

فهذه المرأة البغية التي كانت زانية- تتاجر في عرضها- فانظر إليها  
تسقي كلبا فيغفر الله لها.

وانظر إلى القاتل الذي قتل مائة نفس فتاب؛ فتاب الله عليه.

فيا عبد الله عد إلى الله من قريب، وتب إليه...

اعزم على أن تكون على مرضات ربك، وهدى نبيك، واعلم أن الله  
لا يكلفك إلا ما في وسعك.

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا  
اجتنابه، اللهم هنيئ لنا من أمرنا رشدا.

اللهم هنيئ لنا من أمرنا رشدا، اللهم هنيئ لنا من أمرنا رشدا.

وصلّي اللّٰهم وسلّم على نبينا مُحَمَّدٍ صلّي الله عليه وعلى آله وسلّم.